# موارد الوهم في تخطئة الكتّاب

صلاح الدين الزعبلاوي

لاشك أنه ليس على كاتب العربية أن يكون من جهابذة اللغة ، الراسخين في علومها ، المتضلّعين من فنونها ، المحيطين بأصولها وفروعها ، لكنه لامعدل له على كل حال، أن يلم بأهم قواعدها، ويتعرف أظهر مذاهبها ،ويتبيّن أشهر أساليبها ،ذلك لتبرأ كتابته من شوائب الخطأ ، وتتنزه عن الابتذال واللغو ، وإلا فقد ينأى عن الفصحى ، أي نأي ، ويدنو من العاميّة: أيّ دنو ! واذا استقرّ هذا ، فلسنا مع النقّاد الذين أسرفوا على أنفسهم فاعتزّوا بعلمهم وإحاطتهم ،وقطعوا بفساد كثير مما جرت به أقلام الكتاب ، وطاعت به ألسنتهم ، بلا تأمل ، أو فضل تثبت وتحقيق . فقد اقتادهم هذا أن يحجروا من كلام الكتاب ، الصحيح الظاهر ، ويمنعوا من أساليبهم المستقيم السائغ ، وفي ذلك مافيه من تنفير للكتاب بلغتهم ، وصرفهم عن إتقانها ، وثنيهم عن المضيّ في تدارك ماينبغي أن يُحصوه من مسائلها ، أو يستنبطوه من حقائقها ، من حيث قصدوا الى إغرائهم بها ، وإرهاف عزائمهم على تحصيلها .

— فمن موارد الوهم في التخطئة مثلا أن يوجب النقاد على الكتاب الأخذ بالأشهر والأفصح، والصحيح أنه من أخذ بالجائز الذي لم يناهز حدّ الكثرة والشهرة، فقد أخطأ المشهور ، لكنه لم يُخطىء الصواب على كل حال . وليس يُحمل الكتاب على تخيّر أجود اللغتين في سائر مايتفق لهم من صنوف الكتابة . ودونك ماجاء في المزهر للسيوطي ، وفي الخصائص والمحتسب لابن جني ، حول هذه المسألة : ففي المزهر ( ١٣٦/١ ) : ( قال ابن درستويه : وليس كل ماترك الفصحاء استعماله بخطأ ، فقد يتركون استعمال الفصيح لاستغنائهم بفصيح آخر ، أو لعلّة غير ذلك ) .

وفي الخصائص ( ١ ، ٢ ، ٣ ) ( اللغات على اختلافها كلها حجة ، والناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطىء ) وفيه : ( إعلم أن المذهب في هذا ونحوه أن يُعتقد الأقوى منهما مذهباً ، ولا يمتنع مع ذلك أن يكون الآخر مُراداً ) ، وفيه : ( والقول في هذا واضح ، ألا ترى أن العالِم قد يجيب عن الشيء الواحد أجوبة ، وإن كان بعضها أقوى من بعض ، ولا تمنعه قوة القويّ من إجازة الوجه الآخر ، إذ كان من مذاهبهم وسمت كلامهم ) .. وفيه : (ووجه الحكمة في الجمع بين اللغتين القوية والضعيفة في كلام واحد ،

أن يُروك أن جميع كلامهم وإن تفاوتت أحواله فيما ذكرنا وغيره ، على ما ذكر منهم ، وثابت في نفسهم ... وهذا يدلك أنهم قد يستعملون من الكلام ماهو آثر في نفوسهم منه ، سعة في التفسّح وإرخاء للتنفس ) .

وفي المحتسب ( ٢٣٦/١ ) : ( ليس ينبغي أن يطلق على شيء له وجه من العربيّة قائم" ، وإن كـان غيره أقوى منه ، أنه غلط ) .

ـ ومن موارد الوهم في التخطئة أيضا أن يتعلّق النقاد بظاهر النصّ ، المدرج في المعاجم على قصـد وإجمال ، وعلى اختصار وتجريد ، وفي غـير تبسّط وتدفّق وانطلاق . وظهورُ دلالات الكـلم مرهون بالوقوف على قرائنها المختلفة ، والإطلال على مناحيها المتعـددة ، وتبيّن مواقعهـا المتباينـة في التـركيب والاستعمال . ومن هنا كان من الخطل أن يظنّ ظان أن عُدة اللغوي : معاجم اللغة وحدها ، وأن مظانه : نصوصها المنقولة ، ومصادره : كتب النحو ومطوّلات الصرف وما اليها ، والصحيح أن مراجع اللغوي : كل ماذكر : ، وهي الى هذا وذاك : متون التفسير والحديث، وكتـب الأدب ، ودواوين الشعر ، وصحف الرسائل والرّقاع ، ومصنفـات القوم في التاريخ والأخبـار والأسفار ، بل مؤلفاتهم في مختلف العلوم والصناعات .

فعلى الناقد ألاّ يتلمّس معاني الكلم في نصوص المعاجم وحدها ، بل عليه أن يبتغيها من معالمها الأخرى ويتطلبها من مآتيها المتباينة ، ويؤديه هذا الى البحث عن أوجه تصرّف الكلم في متنوع النصوص المنقولة ، وحدود دلالاتها في سائر الموضوعات المطروقة . كما يؤدّيه الى التماس وجوه التقلّب التي تلابسها على مرّ الزمن وصور التجـدد في أغراضها ومراميهـا ، وتحوّلها عن أرومتها التي انبعثت منهـا ثم تنـاءت

وانتبذت حتى خفي أمرها . وأنت قد تنكر هذا التجدد والتحوّل في معانيها، أول الأمر، لو اتفقا لك مجرّدين، وتسيغهما بالبشر والإيناس ، لو ظفرت بهما في وضـع من التركيب تستشف بقرائنه وجه الانحـدار اليهما .

ومن موارد الوهم في التخطئة . أن يلمح بعض أصحابنا مثالا قد ذكر في المعاجم على جهة التمثيل فيحسب أنه على جهة الحصر والتخصيص ، ويقطع بقصر ما جاء منه على المثال المنقول ، وهو لو أعمل الفكر وعارض النصّ بالنص ، والتمس تصرّف المعنى وتدرّجه في مختلف كتب الأدب ، لأدرك خطأ ما ذهب اليه ، في غير كلفـة او عنـاء .

ومن موارد الوهم . أن يقسو بعض النقاد فينكر على الكتّاب مالا يُشك في صلاحه وصحته من صور المجاز لشيوعها في اللغات الأجنبية ، بل يشتدّ حتى لا تطيب نفسه بأسلوب الكلام حتى يُسمع مجـازه عن العرب بنصّه ولفظه ، وهو مايستبعد الأخذ به والتعويل على سننه . فالذي تلاقت على قبوله أكثر الأئمة أنـه لايُشترط في الكلام المتجوز به أن يسمع أو ينقل ، بل يكفي فيه أن يُحمل على مألوف العرب في تجوزاتهم . وهم قد حددوا جهات المجاز وتقلّباتـه في كثير من التبسط والتمحيص ، ليسهل الأخذ بما نهجوه ، ويتهيأ النسج على غرار ما حكوه ، فيكون هذا عيارا في جميع مايرد على الكتاب من صوره .

★ ★ ★

هذا وأكثر ما يعيب به النقاد كتابنا تصرّفهم في استعمال حروف الجـرّ ، في غـير تدبر أو تحقيق . وسترى أنهم قد أنكروا عليهم في ذلك ، سائغاً لاشبهة فيه لنـاظر ، ومستقيماً لامطعن به لغـامز ، وسنقصر الكلام هاهنا ، على مايتصل بهـذه الحروف ، ونأتي

بأمثلة وشواهد وبينات تفصح عما أردنا وتبين عما ذهبنا اليه ، وسنجلو في مقالات تالية مايظهر مكنون ما عوّلنا عليه ومضمون ما انتحيناه فيما قدّمنا من موارد التخطئة ، ليستبين القصد ويستبصر الطريق .

فالقاعدة في استعمال حروف الجر أن يؤخذ فيها بالسماع والقياس جميعاً . أمّا السماع فيأتي النصّ عليه في المعاجم ، وهي لاتتجاوزه غالباً ولا تتعداه . وأمّا القياس فمرجعه كتب النحو والأمهات اللغوية والأدبية ، ففيها وجوه تصريف هذه الحروف في دلالاتها المطّردة . فاذا نصّ المعجم على استعمال فعل بحرف من الحروف سماعاً ، دلّ ذلك على وقوع الفعل على الوجه المخصوص الذي حدّد له ، فاذا أريد للفعل أن يتصرّف فيبين عن وجوه أخرى فلا بد من إعمال حروف استقرّت فيها دلالات هذه الوجوه طردا وقياسا .

وقد يكون من هذه الحروف المعملة قياسا ماينحو بالفعل الى النحو الذي يفضي اليه الحرف المنصوص عليه سماعاً ، فيستعمل الفعل بحرفين قياسي وسماعي لقصدين متماثلين .

فأنت تقول سماعاً : أجبت عن السؤال ، ولكنك تقول الى ذلك : أجبت في الكتاب ، وبالكتاب ، وأجبت عنك ، وعلى ورقة بيضاء ، ولأمر مهم ، وعن الأسئلة من أولها الى آخرها ، كل ذلك على جهة القياس والاطّراد .

وهكذا تقول : ( أعاونهم على إنشائها ، وأساعدهم على إدارة شؤونها ) على التعدية السماعية ، ولكنك تقول قياسا : ( اعاونهم في إنشائها وأساعدهم في إدارة شؤونها ) و ( في ) ها هنا للظرفية المجازية ، وتخريج الكلام أن ( المعاونة ) تأتت في ( الانشاء ) ، وأن ( المساعدة ) اتفقت في ( الادارة ) . أما المعاون عليه في الأول ، والمساعد عليه في الثاني ، فهو ( الصعوبة ) التي تعترض ( الانشاء والادارة ) غالبا ، وإنما اكتفي من ذكر ( الصعوبة ) بذكر متعلّق يغني عنها لظهور الغرض به . ونحو ذلك ما جاء في التنزيل : ( وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر ـ الأنفال / ٧٢ ) فانه على الظرفية المجازية ، والمستنصر عليه هاهنا أعداء الدين ، وقد حذف لظهور الغرض بما ذكر .

وانظر الى قول الرسول الأعظم ﷺ : كل سلاقى عليه صدقة كل يوم يعين الرجل في دابته يحامله عليها ويرفع عليها متاعه ، صدقة ) . قال الشيخ العدوي الحمزاوي في شرح صحيح البخاري : ( قوله يحامله بالحاء المهملة أي يساعده في الركوب ) .

وفي حديث الأضحية : ( كلوا وأطعموا وادّخروا فان ذلك العام كان بالناس جهد فأردت أن تعينوا فيها ) . وقد قيل إن الضمير في ( فيها ) عائد الى المشقة المفهومة من الجهد ، فيكون تحرير القول : ( فأردت أن تعينوا الفقراء في المشقة ) ، وهكذا قول عليّ رضي الله عنه : ( فمن صدق بهذا فقد كذب القرآن واستغنى عن الإعانة بالله في نيل المحبوب ودفع المكروه ) .

وغريب بعد هذا أن يمنع الأستاذ أسعد داغر قول القائل ( يعاونهم في إنشائها ، ويساعدهم في إدارة شؤونها ) ، قال : ( وتعدية هذين الفعلين بفي خطأ صوابه بعلى ) ، والصحيح ماذكرناه ، وليس الأمر على ماقال ، فانظر الى قول قيس بين الحطيم الأوسي :

وساعدني فيها ابن عمر بن عامر : زهير فأدّى نعمة وأفاءها .

قال أبو علي المرزوقي في شرح ديوان الحماسة ( ١٨٦ ) : ( ويكون المعنى ساعدني في هذه الطعنة زهير بن عمرو ... ) . وليست ( في ) في العبارة بدل

( على ) ، وإنما أغنت مغناها ، وانظر الى قول المرزوقي أيضاً ( ١١٧٤ ) : ( استعن بالصبر في كل ما تزاوله وتراوده ، فان الأمور اذا انسدّت طرقها وأعيت الحيل في تحصيلها ، فان الصبر يسهل مدارجها ، ويوسّع موالجها ، ويفتح ما انغلق منها ، ويفتق ما ارتتق من أسبابها ) ، فان ( الاستعانة ) بالصبر إنما أرادها : في كل أمر يُزاول أو يُراود ، فأغنى ( في ) في الكلام عن ( على ) واستقام القول •

وأغرب من ذلك وأذهب في العجب ، اعتراض الأستاذ داغر على قول القائل : ( ويبذل عنايته في طبعها )، قال : ( والعناية إنما تكون بالشيء لا فيه ) • ونحن لا نعارض الأستاذ في أن تعديه الفعل إنما تكون بالباء ، لكنا ننازعه في تعليق الحكم بصحة قول القائل ، على استعمال التعدية السماعيّة ، ذلك أن تحرير القول يمكن أن يكون : ( ويبذل في طبعها عنايته ) فيكون تعلّق ( في ) بـ ( البذل ) لا بـ ( العناية ) ، قال الحريري في مقدّمة مقاماته : ( وبذلت في مطاوعته جهد المستطيع ) •

هذا وقد ذهب الدكتور مصطفى جواد عضو المجمع العراقي في رده على الاستاذ داغر المذهب الذي نحونا اليه في تصويب قول القائل (يعاونهم في إنشائها) لكنه قال : ( فقال الناقد صوابه : على انشائها ، لأنه لم ير تعدية عاون في المعاجم اللغوية، وهي غير مستوفاة البحث ولا مستقصاة التحري ) •

أقول لا وجه ثمة لما عاب به الدكتور جواد معاجم اللغة في هذا ، لأن المعاجم لم تؤلف لتذكر القياس المنقاد في كل شيء ، وانما قامت لتنص على السماع ، بل على ما لا يتأتى الاهتداء اليه بالقياس • وقد تشير الى القياس لاستبانة وجه من الوجوه ، أو التنبيه على ما يقع فيه اللبس أو الخفاء فتكشف عنه • لكنها لا تعاب ولا تنتقص بالقصور عن الاستيفاء اذا أغفلت القياس الظاهر المنقاد في الاصل • وانما يؤخذ القياس المطرد ويعرف مسراه بالاطلاع على ما قرره النحاة في أسفارهم بالبحث والاستقراء •

واذا أريد الاستظهار على صحة القول ( يعاونهم في إنشائها ) في المعاجم نفسها ، فانما يراجع فيها ما جاء عن معاني ( في ) ومصارفه • ففي الصحاح مثلا : ( في ، حرف خافض ، وهو الوعاء والظرف ، وما قدر تقدير الوعاء ، تقول : الماء في الإناء ، وزيد في الدار ، والشك في الخبر ) • فـ ( في ) في قولك ( الشك في الخبر ) ، كـ ( في ) في قولك ( المعاونة في إنشائها ) ! وخلاصة القول أنه لا بد في الحكم على صحة تعدية الفعل بحرف من الحروف ، من مراجعة كتب اللغة من أجل استقراء وجوه استعمال الحروف الجاره في المعاني المطردة قياساً ، واعتماد نصوص المعاجم والأمهات للوقوف منها على ما خص به الفعل من هذه الحروف سماعاً • ولا يمنع استعمال الفعل بحرفه السماعي المنصوص عليه في وجهة معينة ، أن يجيء بالحرف القياسي في منحى يشابه الوجهة المذكورة أو يدانيها ، وكل ذلك يحتاج الى تروئة وتدقيق •

هذا وقد قضيت العجب كيف وقع الخلاف من النقاد على تعديه ( أسف ) ، هل يصح أن يعدى باللام كما يعدى بعلى ؟ فنص المعاجم أبداً على تعديه ( أسف ) بعلى • قال صاحب الصحاح : ( الأسف أشد الحزن، وقد أسف على ما فاته ، وتأسف أي تلهف ، وأسف عليه أسفاً ، أي غضب ) ونظيره قوله تعالى : ( يا أسفا على يوسف — يوسف/١١١ ) • وكذا قول الشاعر :

غـير مأسوف على زمـن

ينقضـي بالهـم والحـزن

وقد اقتاد هذا كثرة الناقدين الى تخطئة القائل (أسفت له ) وجعل الصواب ( أسفت عليه ) • قال الاستاذ أسعد داغر : ( ويقولون هذا مما يؤسف له ، وهو شائع كل الشيوع ، فيعدون أسف باللام ولم يسمع تعديته عن العرب الا بعلى) • وقد تابعه في ذلك الدكتور مصطفى جواد فقال في كتابه ( دراسات في فلسفة النحو •• ) : ( فانه يقال أسف على الانسان وعلى الشيء لا أسف لهما ) • وقد أتى بشواهد من الشعر والنثر على تعدية الفعل بعلى • وخالف الاستاذ محمد العدناني صاحب ( معجم الأخطـاء الشائعة ) جواداً وداغراً فأتى بما يشير الى تعديه الائمة الفعل باللام كقول أبي علي القالي في نوادره : ( فوجـد زوجته الثانية قد ماتت حزناً عليه وأسفاً لفراقه ) • فما صواب المسألة اذاً ؟

أقول اذا عدي الفعل في المعجم بحرف فليس يلزم من هذا ألا يتعدى بسواه اذا اقتضى معناه ذلك • وقد وقدفصلنا القول بما قدمناه، وأشرنا اليه غير مرة في كتابنا ( أخطاؤنا في الصحف والدواوين ) المطبوع عـام (١٩٣٩) • ولننقل هنا ما حكاه الامام السيوطي في الأشباه والنظائر عـن أبي نزار ( ٣/١٧٦ ) ، قال : ( ان الفعل قد يتعدى بعدة من حروف الجر على مقدار المعنى المراد من وقوع الفعل ،لأن هذه المعاني كامنة في الفعل ، وانما يثيرها ويظهرها حروف الجر ) • فـمـا معنى الأسف في الأصل ؟ الأسف بمعنى الحزن تارة والغضب أخرى • قال ابن القوطية : ( أسف أسفـاً حزن ، وأيضاً اشتد غضبه ) • وقال الراغب في مفرداته : ( الأسف الحزن والغضب معاً ، وقد يقال لكل واحد منهما على الانفراد ) • وجاء في محاضرات الأدبـاء للراغب الأصبهاني (٤/٥٠٦) : ( سئل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، عـن الحـزن والغضب ، فقـال : أصلاهما واحد وذلك وقوع الامر على خلاف المحبة ، وأما فرعاهما فمختلفان، فالمكروه من فوقك ينتج حزناً، ومن دونك ينتج غضباً ) وجـاء فيه أيضـاً : ( قال يعقوب الكندي أسباب الحزن فقد محبوب أو فوت مطلوب ) • ومثل ذلك الأسف ، فكما يكون مما اتفق على المرء من فقد محبوب أو فوت مطلوب ، فقد يكون مما فرط منه من فعل فكرهه بعد أن فعله ، فيقـع ( أسف ) موقع ( ندم ) أيضا • ففي الافصاح : ( الندم الاسف ، ندم عليه يندم ندما وندامة وتندم : أسف ، وندم على كذا : كرهه بعدما فعله فهو نادم ) : وفي المتن : (ندم يندم ندما وندامـة : أسف ، فهـو نادم وندمان ) •

فاذا صح هذا ، وعديت ( حزن ) و ( أسف ) بعلى سماعاً ، كما عديت ( تأسف وتلهف وتحسر وغضب وندم وتندم وصبر وجزع •• ) ، وأنت تقصد أن تذكر الامر الذي كان الحزن والاسف بسبب فقده أو فوته فلك أن تختار اسلوباً آخر تقول به على القياس (حزنت لفقد فلان وأسفت لفراقـه ) أي بسبب ذلك أو مـن أجل ذلك • فانظر الى ما جاء في محاضرات الادباء للراغب : ( اذا أبصروا حالي ولم يأسفوا لها : ولم يأنفوا منها أنفت لهم مني ــ ٣/٣٨ ) وقوله : (المتأسف لقلي حبيب له ــ ٣ / ٧٦ ) ، وما جاء فيه أيضاً : ( قال الشاعر : فقد حزنتُ لفقدهم الشهورُ ــ ٤/٥١٦ ) •

وتأمل ما جاء في شرح ديوان الحماسة لأبي علي المرزوقي : ( لا آسف لما أرى من الحرمان أسف من يبكي ويبكي غيره ) وقوله : ( الصدر من البيت تحسر

لما أصاب الفقراء واليتامى بعد موته ) وقوله : ( وهذا الجزع الذي نهاها عنه ليس يريد به الحزن لفقده ، وانما يريد الحزن لسلامة الواتر /٨٦٦ ) •

واظر الى قول مهيار ، وقد استشهد به المعجم الكبير ، على تعدية الفعل باللام :

أسفت لحلم كان لي يوم بارق
فأخرجه جهل الصبابة من يدي

ومعناه أن الشاعر قد تحسر من أجل حلم كان لــه ثم خرج من يده ، فبات يتلهف لفقــده •

هذا وليس العجب أن يلحنوا قول القائل ( أسف له ) وهو القياس المنقاد في استعمال اللام ، بل العجب أن يحتاج لتصويب هذا، الى دليل يؤنسه وشاهد يثبته، فغريب أن ينحو المعجم الكبير هذا النحو فيستشهد بشعر مهيار الجواز ــ أسف له . وأذهب في الغرابة وأمضــى قــول الاستاذ محمد العدناني في معجم الاخطاء الشائعة : ( وانفرد المعجم الوسيط بقولــه : أسف له : تألم وتندم ، دون أن يذكر المعجم أن مجمع القاهرة وافق على ذلك •• ثم أصدر المجمع نفســه الجزء الأول من المعجم الكبير ، وقال فيه : أسف له أسفاً وأسافة تألم وندم ، واستشهد بقول مهيــار : أسفت لحلم •• ونحن لا نستطيع الاعتماد على قول شاعر طوق الحمامة : فيا عجبا من آسف لامرىء ثوى: وما هو للمقتول ظلما بآسف ، لأن الضرورة الشعرية قد تكون السبب في الاتيان باللام بعد آسف ، بدلا من على ، ولكنا نعتمد على قول المعجم الكبير ، وأبي علي القالي ) •

أقول إن ( أسف له ) عربي فصح لا غبار عليه ، وليس هو في حاجة الى مجمع يقر صوابه ويدل علــى سداده ويشهد بصحته • واستعمال اللام فيه قياس لا شأن فيه للسماع كما أسلفنا • وهو كقولك ( تأسفت له وحزنت له وجزعت لــه وأسيت له وصبرت لــه وتوجعت له •• ) •

وقد أردف الاستاذ محمد العدناني ( ونعتمد أيضاً على رأي ابن جني الذي أفرد بحثاً رائعاً في الخصائص عن استعمال الحروف بعضها مكان بعض ، يجيز لنا أن نقول : أسف عليه وأسف له ، راجع مادتي : لا يخفى على القراء ، واعتقد ، في هذا المعجم ) • أقــول ليــس لقولك : ( أسفت عليــه وأسفت لــه ) صلــة بالباب الذي عقده ابن جني في الخصائص ( ٢/ ٣٠٦ ــ ٣١٥) على استعمال الحروف بعضها مكان بعض • وإنما يردّ مضمون الباب المذكور الى ما أسموه بحمل الكلام على المعنى أو التضمين والاشراب • وليس شيء مما ذكرنا أو بسطنا القول فيه ها هنا من قبيل الحمل على المعنى أو التضمين الذي قصد اليه ابن جني في كلامه أو عناه الأستاذ العدناني بقوله : ( راجع لايخفى علــى القراء ، واعتقد ، في هذا المعجم ) • فالكلام الــذي قلناه في جواز ( أسفت له ) إنما هو في جملته وتفصيله تصريف لحروف الجر مع الفعل في المعاني التي عرفت بها ، واجراء لها في مجاريها التي رسمهــا النحــاة بالاستقراء ، وفصلوا القول فيها ، في مختلف المظان •

وشيء آخر لابد من التنبيه عليه • فقد عرّف المعجم الوسيط والمعجم الكبير ( أسِف ) ، فلم يأت تعريفهما جامعا مانعا كما يقول أصحاب المنطق ، وهما معجمــان حديثــان أشرف علــى تأليفهما المجمــع القاهري • فقد جاء فيهما ( أسف له : تألم وتندم ) ، وهو تعريف فيه من القصــد والاجمــال ما يوجب اللبس ، فاذا قلت ( أسفت للأمر : تألمــت وتندمت )

لم يسغ قولك دوما ، واذا قلت ( أسفت للرجل : تألمت وتندمت ) ، أشكل كلامك أيضا ، والا أفيصح قولك مثلا ( أسفت لفلان أو أسفت لفراقه : تندمت ) ؟ ذلك أن ( التندم ) لايتأتى الا من عمل قام به الآسف نفسه، تقول : ( أسفت لما فرط مني أي تندمت ) ، قال ابن القوطية : ( ندم ندما وندامة كره ما فعله ) لا ( ما فعله سواه ) ! ففي كل ( تندم ) أسف أي حزن ، وليس في كل ( أسف ) تندم ، ومن هنا كانت نصوص المعاجم ( الندم : الأسف ) كما نقلناه لك عن الافصاح والمتن ، لا العكس .

ولنعد الى ماكنا عليه وبسبيله من الكلام على قياس استعمال ( اللام ) فيما جعلت له ، قياسا لاينكسر ، فأنت تقول ( صبرت على البلاء واصطبرت) ولكنك تقول أيضا (صبرت لما أصابني منه واصطبرت)، قالت امرأة من بني عامر :

سيتركها قوم ويصلى بحرّها
بنو نسوةٍ للثكل مصطبرات

قال أبو علي المرزوقي في شرح هذا البيت ( ٧٤٩ ) : ( وقد تعود الثكل أمهاتهم ، فلا يجزعن لقتلهم ، وأَلِفَ الأيِّمةَ نساؤهم فلا يحزن لموتهم . ومعنى للثكل : من أجله ) . وأردف : ( وهذه اللام في هذا الموضع قد تؤدي معنى على فاعلمه ) . وانظر الى قول المرزوقي ( ٩٨٩ ) : ( ولاشيء من أعلاق المتنى يتحزن له اذا أفيت [1] ) .

واذا كانت تعدية ( حزن ) و ( أسف ) باللام قد تؤدي مؤدى تعديتها بعلى اذا ذكر الامر الذي كان الحزن أو الاسف لفقده أو فَوْته ، فليس الحال كذلك اذا ذكر الانسان الذي كان مصدر الحزن وموضع الاسف ، فقولك ( حزنت على الرجل ) شيء ، و ( حزنت له ) شيء آخر . ف ( حزنت لفلان ) بمعنى رققت له وعطفت ، وهو غير حزنت عليه ، فانظر الى ماحكاه الراغب في محاضرات الأدباء ( ٥٠٨/٤ ) : ( ولما مات ذرُّ بن عمر بن ذرّ ، قام أبوه على قبره فقال : ياذرّ شَغَلنا الحزنُ لك عن الحزن عليك ... اللهم انك قد ألزمته طاعتك وطاعتي ، فاني قد وهبت له ماقصر فيه من حقي ، فهبْ لي ماقصر فيه من طاعتك . اللهم ماوعدتني من الأجر على مصيبتي به فقد وهبته له، فهب لي من فضلك.. ) . فكأن حزنك على الرجل توجع عليه وجزع ، فهو انفعال ليس غير، أما حزنك له فهو رثاء لحاله وعطف عليه واهتمام بأمره ، فهو انفعال وفعل . وقد جاء في الأساس : ( هؤلاء حزاتك أي أهلك الذين تتحزن لهم وتهتم بأمورهم ) ، وتحزّن في الاصل صار حزينا . وليس كذلك حزنت لفقده وعلى فقده ، فإن اللام هاهنا في موضع على كما قال المرزوقي .

وفي اللغة : ( أسي عليه اذا حزن )، قال الفيومي: (وأسي أسى من باب حزن فهو آسِيٌ مثل حزين ) . فأنت تقول : ( أسيت عليه كحزنت ) ، لكنك تقول أيضا : ( أسيت للرجل اذا حزنت له أي رققت له فشُغلت بأمره ) . فانظر الى ما حكاه الراغب في المحاضرات ( ٥١٦/٤ ) : ( قال الموسوي : يموت قوم ولا يأسى لهم أحد : وواحد موته همّ لأقوام ) . فكأن فحواه : يموت قوم فلا يهتم لموتهم أحد ، ويقضي فرد فيهتم لموته أقوام .

وانظر الى قول قراد بن سلِمي بن ربيعة :

أولئك لو جزعت لهم لكانوا : أعز علي من أهلي ومالي .

(1) فاته الشيء يفوته ، وأفاته اياه غيره .

والمنى على ماذكره ابن جني في التنبيه : ( لو جزعت لهم لكنت معذورا في ذلك ، لانهم أعز علي من أهلي ومالي ) . وقال أبو علي المرزوقي في شرح ديوان الحماسة ( ١٠٠٤ ) : ( لو أعطيت الجزع حكمة لكان حالي حينئذ بخلاف حالي الساعة ، ولكان لي عذر في ذلك ، لانهم أعز علي من أهلي ومالي ، لكنني تركت ذلك اقتداء بالناس في جزَعهم لمصابهم ) . والذي ينبغي الكشف عنه هنا ، قوله ( جزعت لهم ) أفتراه يؤدي مؤدى ( جزعت عليهم ) ، ام يعني الى ذلك شيئا آخر ؟ الذي أراه ان استعمال ( اللام ) هنا يضيف الى ( الجزع ) الاهتمام والمبالاة بمن فقدوا والحفل لهم ، وهم أعز على الجازع من أهله وماله ! أو ليس هذا ما يقوله الشاعر ؟

ويبدو الفارق بينا بين ( غضبت عليه ) و ( غضبت له ) ، فغضبت عليه اذا سخطت، أما غضبت له فمعناه غضبت من أجله . واذا غضبت لانسان فقد اهتممت به وانتصرت له . وقيل ( غضب به ) بمعناه اذا كان المغضوب له ميتا . والباء هنا للسبب . وقد أشار الى ذلك ابن قتيبة في ( أدب الكاتب/٢١٦ ) ، وفصّله الحسن بن قاسم المرادي في ( الجنَى الداني في حروف المعاني/٣٩ ) .

وجاء في الاساس : ( وللشماخ :

وقد أتاني بأن قد كنت تغضب لي
ووقعةٌ منك حق غير ابراق

فسرّني ذاكَ حتى كدت من فرح
أساور الطودَ أو أرمي بأرواق[1]

(١) رمى بأوراقه على الدابة : ركبها وعلاها .

كما جاء في محاضرات الأدباء للراغب ( ٢٣٦ ) :
( وغضب الرشيد على رجل فقال له جعفر : غضبت لله فأطع الله في غضبك بالوقوف الى حال التبيّن ، كما غضبت له ) . وفي شرح الحماسة للمرزوقي قول قُراد بن عياد ( ٦٧٠ ) :

( اذا المرء لم تغضب له حين يغضب
فوارسُ إن قيل اركبوا الموت يركبوا

ولم يَحْبُه بالنصر قومٌ أعزّةٌ
مقاحيم في الأمر الذي يتهيّبُ

تهضّمه أدنى العداة ولم يزل
وان كان عضاً بالظلامة يُضرب[1] )

ويتحصل من ذلك أنك تقول أسفت على فلان اذا حزنت عليه أو غضبت ، وأسفت على الشيء اذا تلهفت أو تحسّرت على فقده ، وأسفت على ما فرط مني : اذا تندمت ، كما تقول : اسفت لفلان اذا حزنت أوغضبت له . وأسفت لفقده اذا أسفت من أجل فقده، وأسفت لما فعلته : اذا ندمت .

وهذه أمثلة أخرى : تقول في ( حسد ) على الأصل : ( حسدت فلانا على نعمته ) ، ولكنك تقول الى ذلك ( حسدت فلانا لنعمته ) وهو بمعناه . فقد جاء في المحاضرات قول الشاعر : ( لاينزع الله عنهم مالهم حسِدوا ) أي ما حسدوا لأجله وبسببه ، وهو ماحسدوا عليه. وقال الراغب في عنوان له ( المحسود لفضله ، أي بسبب فضله أو على فضله .

وفي ( لامَ ) ، تقول على الاصل ( استحق فلان

(١) اي اذ غضب المرء ولم ينتصر له فوارس يطلبون الموت ، واعزة مقاديم لا يخشون الصعب . ظلمه ادنى العداة ، ولو كان اهلا للقتال .

اللوم على فعلته تلك) . قال المرزوقي في شرح الحماسة (٣٧٣) : ( ويلومهم على ما كان منهم من القصور عن نصرته .. ) . وتقول الى ذلك : ( استحق فلان اللوم لفعلته ) أيضا . قال المرزوقي : ( ٧٦٦ ) : ( فعدّت امرأته تلك الفعلة منه ، وما اتفق عليه ، سفها وذنبا ، يستحق لهما اللوم ، فطفقت باكرة عليه تعجّزه وتؤنّبه ) أي يستحق اللوم بسببهما ومن أجلهما .

* * *

ونظير ما نحن بسبيله منع الدكتور مصطفى جواد قول القائل ( حفظ له الشيء ) والاقتصار على ( حفظ عليه الشيء ) . فقد عاب على الشيخ رؤوف جمال الدين قوله ( حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ). قال في كتابه ( دراسات في فلسفة النحو والصرف واللغة ..) : ( والفصيح بل الصواب محفوظة على المؤلف ، يقال : حفظ فلان عليه الشيء حفظا فالشيء محفوظ عليه ) . واستظهر بكلام كثير من الأئمة كالامام علي ، والامام زين العابدين علي بن الحسين، وغيرهما . قال علي رضي الله عنه : ( فان نسيت مقالتي هذه حفظها عليك غيرك ) . وقال زين العابدين في دعائه : اللهم احفظ علي سمعي وبصري الى انتهاء اجلي ) . وأنت تعلم أن دليله هذا انما يقوم على اثبات تصرف الفعل بـ ( على ) ، ولاينفي جواز استعماله باللام ، قال صاحب اللسان : ( الحفيظ من صفات الله عز وجل ، لايعزب عن حفظه الاشياء كلها ، مثقال ذرة في السموات والارض ، وقد حفظ على خلقه وعباده مايعملون من خير أو شر .. ) ، فعدّى ( حفظ ) بـ ( على ) . لكنه قال أيضاً : ( ويقال استحفظت فلانا مالاً إذا سألته أن يحفظه لك ) فعدّى ( حفظ ) بـ ( اللام ) . وقال المرزوقي في شرح الحماسة (١٥٣٥) : ( وحفظت عليها صيانة نفسها ) ، لكنه قال (٥٥٧) : ( وحفظت لها وعليها مياهها وبلادها ومراعيها ومَرادها ) . وليس هذا صريحا باستعمال الحرفين حسب ، وانما هو دليل على ان لكل منهما منحى ومتجها ، فاذا قلت ( حفظت له المالَ ) فقد عنيت به أنك حرسته له وصنته من أجله أو ما ماثل ذلك . واذا قلت ( حفظت عليه المال ) فقد أردت به أنك قد أبقيته عليه وصنته من أذى وحافظت عليه بالرعاية . وهو من القوة بحيث لايؤدّيه معنى ( حفظت له ) . وكذلك قولك : ( حفظت عليه أحواله ) فهو على معنى المراقبة والمحاسبة . فانظر الى ما جاء في اللسان : ( والحفيظ المحافظ ، ومنه قوله تعالى : وما أنا عليكم بحفيظ ) ، وفي الاساس : ( وهو حفيظ عليه : رقيب ) . قال الزمخشري في كشافه حول قوله تعالى : ( وما أرسلوا عليهم حافظين /المطففين/ ٣٣ ) : (أي حافظين موكّلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم ويهيمنون عليهم ) . وفي ذلك معنى المراقبة . وانظر الى ما أتى به اللسان : ( وقد حفظ على خلقه وعباده مايعملون من خير أو شر ) ، فان فيه معنى المحاسبة ، وما أورده أيضا ( والحفظة الذين يُحصون الاعمال ويكتبونها على بني آدم من الملائكة ) !

ومن شواهد الدكتور جواد ، ماجاء في سيرة ابن هشام . قال رسول الله (ﷺ) : ( مَنْ رجلٌ يحفظ علينا الفجر لعلّنا ننام ) ، قال بلال : ( أنا يا رسول الله أحفظه عليك ) ، وما حُكي عن سيدنا علي ، قال : ( فان نسيت مقالتي حفظها عليك غيرُك ) والاول على معنى المراقبة، والثاني على معنى المحافظة، كما أسلفنا . ويتبين بذلك أنك تقول : ( حفظت على فلان أمره ) و ( حفظت على الشيء سداده ) ، فاذا

قلت ( حفظت على فلان ) أو ( حفظت على الشيء ) فهو اما على حذف المفعول ، أو على ايقاع ( حفظ ) موقع ( حافظ ) كما توقع هذا موقع ذاك ، وهما هنا بمعنى • فمن الاول ما جاء من نهج البلاغة (١/١١٧) : ( حافظاً على عهدك ، ماضياً على نفاذ أمرك ) من حفظ عليه كحافظ عليه • وفي التنزيل : ( وربك على كل شيء حفيظ ــ سبأ /٢١ ) • قال الزمخشري : ( محافظ عليه ، وفعيل ومفاعل : متآخيان ) • ومن الثاني قول المرزوقي (٥٨٥) : ( فلم يراعوا ذمة ، ولم يحافظوا حرمة ) ، من حافظ كحفظ • وكذا قوله ( ٧٤٠ ) : ( واذا حافظنا الحقوق وراعينا الوسائل والحظوظ تناسقت الابوة والامومة، وتلاحظت البنوة والأخوة)•

ويحمل الشنتمري تعدية ( حافظه ) ك ( حفظه )، على حذف الجار وايصال الفعل • ففي الكتاب (١/٩٧) :

أخذت بسجلهم فنفحت فيه
محافظة لهن إخا الذمام

قال الشنتمري : ( الشاهد فيه نصب إخا الذمام بمحافظة ، والتقدير لأنحافظت إخا الذمام أي راعيته وقارضت به ، والمعنى على إخا الذمام فحذف حرف الجر ووصل المصدر لمافيه من معنى الفعل ، وأراد إخاء الذمام فقصر ضرورة • والسجل الدلو ملأى ماء فضربت مثلا في العطاء والحظ لأن العيش بالماء ، ومعنى فنفحت : أعطيت •• ) •

هذا وقد اقتصر الدكتور جواد في استعمال ( حفظ )مع اللام ، على صورة واحدة ، اذ ارتضى قول القائل (أحسنت الى فلان فحفظ لي ذلك) أي ذكره • ويمكن أن يرد هذا الى معنى الصون الذي ثبت للفعل في الأصل • تقول : ( حفظت له العهد ) اذا صنته بالبر والوفاء • فما بال الاستاذ أساغ هذا وأنكر ( حفظ له حقه ) و ( حقه محفوظ له ) أي مصون ، وحفظ في هذا كحافظ في قول ابن منظور ( المحافظة الوفاء بالعقد والتمسك بالود ) • والذي يحدث اليقين بما قلناه أن استعمال اللام مع الفعل فيما قدمنا جميعا مقيس مطرد لاحاجة به الى اجتهاد أو سماع • وإنما سقنا الشاهد ليؤنس ما ذهبنا اليه ، وأوردنا الدليل ليسلكنا الى ما نبتغيه • فانظر الى قول الشيخ نصر الهوريني في شرح ديباجة القاموس : ( ومودع بالضم اسم فاعل من أودعه الشيء جعله عنده وديعة يحفظه له ) أفكنت تحتاج الى سماع يقر قولك (حفظت له الوديعة) ، أو اجتهاد يسيغ النطق بما ينتجه القياس ؟ ثم انظر الى قول مسكين الدرامي :

فإني سأخلي لها بيتها
فتحفظ لي نفسها أو تذر

وقد أورده الراغب في محاضرات الأدباء من قصيدة ( ٣/٢٣٢ ) • وهذا قول عليّ كرم الله وجهه من نهج البلاغة (٣/١١١) : (واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم ، واجعل له قسما من بيت مالك ) !

* * *

ونحو من ( حفظ له الشيء وحفظه عليه ) : (توفر له الشيء وتوفر عليه ) •

فقد أنكر الاكثرون ( توفر ) في غير صورة واحدة أوردها الاساس وسواه • قال الزمخشري ( ومن المجاز •• توفر على صاحبه اذا رعى حرماته ، وتوفر على كذا اذا كان مصروف الهمة اليه ) • وقد جاء الصحاح والتهذيب واللسان والمصباح والتاج بمثل هذا النص فتماثلت فيه نقولها وتشابهت مروياتها وتناصرت ، فوقف الناقدون عند النص ، ولم يتعدوه أو يستشفوا قرائنه فيستنبطوه •

قال الاستاذ أسعد داغر في تذكرة الكاتب

( ويستعملون الفعل توفر بمعنى وفر أو توافر أي كثر، فيقولون يجب أن تتوفر فيه الخبرة ، وهذا لم تتوفر فيه الاسباب الكافية . وفي اللغة توفر عليه رعى حرماته وصرف همته اليه ) . ومالأه الاستاذ محمد العدناني في معجمه فقال : ( ويقولون توفّر الذكاء والاجتهاد والصواب : وفر أو توافر أي كثر ؛ لأن معنى توفّر عليه رعى حرماته وبره وصرف همته اليه مجاز ) .

وخالفهما الدكتور مصطفى جواد [1] إذ أقر ( توفّر ) كوفر لازماً ، لكنه منع ( توفر له ) وارتضى ( توفّر عليه ) وأنت لا تملك الا استغراب ما ذهب اليه في هذا التفريق ، وقضاء العجب منه !

أما اقرار ( توفر ) فدليله على ما ذكر الدكتور جواد قول بشار ، فيما حكاه صاحب الاغاني (٢/١٤٥) : (ان عدم النظر يقوي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر اليه من الاشياء فيتوفر حسه ) . وقول المرتضى في أماليه ( ١/٥٦ ) : ( فيتوفر اللبن على الحلب ) وكلاهما شاهد بصحة ( توفر الشيء ) إذا وفر وتجمع .

ويؤيد هذا ، وينزع منزعه ، قول أبي حيان التوحيدي . في كتابه ( البصائر والذخائر ــ ١/١٧٠): (يقال من أكثر الخير سار به ذكره، وتوفر عليه أجره ). وقوله في كتابه ( المقابسات ــ ٢٣٨ ) : ( ولهذا لاتتوفر القوتان للانسان الواحد ) . وقال أبو علي المرزوقي في شرح الحماسة ( ٧٩٠ ) . ( توفرت عليه الرحمة ) ، وقال أيضا (٨٦٦) : ( وان العناية متوفرة من جهتهم ). وقال ( ٧٩٤ ) ( ليتبين كيف توفر الجزع عليه ) .

فثبت بذلك أنك تقول ( وفرت الشيء ) اذا اكملته ولم تنقصه ، فتوفر هو اذا تحصل دون نقص . وذلك كـ ( وفرته ) بالتخفيف ، اذا أكملته واتممته ولم تنقصه ، فوفر هو . ففي المصباح : ( قال أبو زيد : وفرت له طعامه توفيراً ، اذا اتممته ولم تنقصه، ووفرت عليه حقه : أعطيته .. فاستوفره واستوفاه ) . وفي الصحاح : ( ووفـر عليه حقـه توفـيراً واستوفره واستوفاه ) .

فاقتصار الزمخشري وسواه على القول ( توفر على صاحبه اذا رعى حرماته .. ) لا يمنع مجيء(توفر) في مصارف أخرى كما رأيت . ذلك أن الزمخشري قد أورد كلامه على أنه مجاز فلم يتنبه كثرة الناقدين له، ولو قدروا أن لهذا المجاز أصلا لابـد من ابتغائـه والتماس وجهه لظفروا به من غير كلفة أو عناء . ذلك أنك تقول من ( وفر ) مثلا : ( وفرني فلان على كذا ) أي وفّر جهدي ووقفه عليه . و ( توفرت على كذا ) اذا وفرت جهدي وجمعته عليه ، وصرفت همتي اليه . قال المرزوقي ( ١٣٢٠ ) : ولم توفّروني على ما أهمّ به ) . وهكذا تقول : ( توفرت على صاحبـي ) اذا وفرت همتك على ما تستقيم به أموره وتصلح أحواله. وهذا ما ابتغته المعاجم حين تناقلت النص الذي أوردنا ( ومن المجاز : توفر على صاحبـه .. وتوفر علـى كذا .. ) .

هذا وقد أصبح ( التوفّر ) بالمجاز مرادفا للعناية بالامر والانصراف اليه والاهتمام بالانسان وتفقده وحسن رعايته . فانظر الى قول المرزوقـي ( لحسن توفرنا عليه واحتفالنـا بسوق الخير اليـه /١٢١ ) . وقوله : ( وان التوفر على الضيف واكرامه ... من الخصال المحمودة/٧٠٠ ) . وقوله : ( وازدادوا توفراً عليهم وتفقدا لهم /١٠٨٥ ) ، وقوله : ( متوفرون عليّ، حسب ما يقتضيه كرمهم /١١٥٩ ) ونظائره كثير .

---

(١) في كتابيه ( دراسات .. ) و ( قل ولا تقل ) .

ولكن ما بال الدكتور مصطفى حداد يلحن قول القائل ( توفر له ) فيقول في كتابيه ( دراسات ... ) : و ( قل و ولاتقل ) : ( وقد أخطأ حفظه الله باستعمال اللام مع الفعل توفر ، وانما قال الفصحاء توفر عليه لا له ، وتوفر فلان على فلان .. ) ! واذا كان الاستاذ جواد قد أكثر من شواهده على استعمال ( توفر عليه ) فليس هذا سنداً له في حظر ( توفر له ) بحال من الأحوال . وهو قياس منقاد لا شأن فيه لحكاية أو رواية أو سماع .

فقد رأيت أبا حيان يقول : ( ولهذا لاتتوفر القوتان معا للانسان الواحد ) .. يؤيده قول المرزوقي (١٥٠٧) : ( خبروني أي العادتين أقرب الى الكرم وأجرى في وفاء الشيم ؟ أعادة من يستنزل الأضياف عن أموالهم وينقص ما توفر لهم ، أم عادة من يزيدهم ويثمر حظوظهم ؟ ) .

واذا قال صاحب المصباح ( وفرت له الطعام توفيرا اذا أتممته ولم تنقصه ) أفلا تقول في إثره (فتوفر له الطعام ) . والا فكيف يسوغ قولك ( وفرت له ) ويمتنع ( فتوفر له ) ؟

وليس هذا حسب ، فاذا أعملنا الفكر في تصرف الفعل بالحرفين ألفينا لكل وجهة وقصدا . فاذا قلت : ( توفر له المال ) فقد أردت تجمعه في يديه أو صيرورته الى ملكه وحوزته ، واذا قلت ( توفر عليه المال ) فقد لحظت الى تجمع المال ، فضل النعمة وضفوها بل تمامها وسبوغها عليه .

واذا كان ( توفر ) كـ ( وفر ) لازما ، فهل جاء ( توفره ) متعديا كـ ( وفره ) ؟ أقول لم أر هذا في معجم ، لكني ظفرت به في شرح الحماسة ( ٢١٨ ) ، قال المرزوقي : ( يقال ودّيته فاتدى ، كما يقال وهبته فاتهب أي قبل الهبة . وفي الحديث هممت الا اتّهب الا من قرشي أو أنصاري . ومثله : قضية الدين فاقتضاه أي قبله وتوفره ) .. ويعني هذا أن (توفره) كاستوفاه واستوفره . وقد أورده مورد النص ، فتأمل !

هذا وقد أخذ الاستاذ صبحي البصام في رسالته الاستدراك على استاذي العلامة الدكتور مصطفى جواد بعض ما جاء في كتابه : قل ولا تقل ) ، لكنه لم يعرض لشيء مما نحن فيه .

* * *

واذا تجاوزنا من حروف الجر ( اللام وعلى ) فهناك (من) . ومن معانيها كما ذكر المغني (١٤/٢) التعليل ، وقد مثلوا له بقول الفرزدق :

يُغضي حياء ويُغضى من مهابته
فلا يكلم الا حين يتبسم

وتأسيساً على هذا تقول ( أسفت من حسدك إياي ) ، ولاترجو أن تجده في معجم لترتاح الى سداده وتسكن الى صوابه . قال صاحب المحاضرات (٧٤/٣) : ( تأسف من هجر محبوبه ) . وقد جاء فيه ( ٣٩٤/٤ ) قول الشاعر :

وقد يأسف المرء من فوت ما
لعلّ السلامة من فوته

وقول آخر :

لم أبك من زمن شكوت صروفه
الاّ بكيت عليه حين يزول

وقول آخر ( ٢٨٧/٣ ) :

لاتجزعنّ من الهزال فطالما
ذبح السمين وعوفي المهزول

وجاء في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (٩٦١) :

بكت دارهم من فقدهم فتهللت
دموعي فأي الجازعين ألوم

وقال أبو الطمحان القيني (١٢٦٦) :

وقبل غد يالهف نفسي على غد
اذا راح أصحابي ولست برائح

قال المرزوقي : ( يروى : يالهف نفسي من غد .. وهذا تلهف من غـد ) .

وهكذا القول في استعمال (في) و (الباء ) قياسا مطرداً فيما كانا له . فأنت تقول مثـلا ( جزع فيـه وبه ) ولا تحتاج فيه الى نص يشهد بصحتـه . قال المتنبي :

أجد الحزن فيك حفظاً وعقلاً
وأراه في الخلق ذعـراً وجهلاً

وجاء في شرح ديوان الشاعر لأبي البقـاء الكعبري ( ٣/١٢٤ ) : ( قال الواحدي المراد بالعقل الاعتبار بمن مَضَى ، فان العاقل انما يحزن بالميت اعتباراً به وعلما أنه عن قريب يتبعه . وحزن غير العاقل انمـا يكون خوفاً من الموت ، وهو جهل لانه ميت لا محالة وان حزن ) . وقال أبو البقاء : ( والمعنى انما تحزن على من تصاب به ممن أحبك ، حفظـا لذمتهم ورعايـة لخدمتهم وانصافا وعقلا ووفاء وكرما ، وأراه في غيرك خوفاً وجزعا وجهلا ) .

وقال : المرزوقي (٨٠٤) : ( وانهاء ما يقاسونه من الجزع فيهم ) . وقال : ( أو أحزن في اثر فائت أو أجزع بتولي مدبر ) وقال ( ٨١٧ ) : فيشقى بالجزع له وفيـه ) .

وحكى الراغب في المحاضرات ( ٤/٥٠٧ ) عـن خالد بن صفوان قوله ( صبرك في مصيبتك أحمد من جزعك ، وجزعك في مصيبة أخيك أحمد من صبرك ) . وانظر الى قول هشام بن عقبة العدوي : فلم تنسني أوفى، المعيباتُ بعده : ولكن نكء القَرْحِ بالقرح أوجع قال المرزوقي ( ٧٩٥) : ( ونبه بهذا الكلام على أن الجزع بأوفى لم يُزله ما تعقبه من المصائب ولكنه زاده اشتدادا ) ، وأردف : ( فالهلع بموت أوفى وقد أمد بمصاب آخر يكون أتم وأكمل ) . وفي موضع آخر ( ٨٠٠ ) : ( ففيه دلالة على تمكن الجزع بالمصاب من كافة الناس ) .

★ ★ ★

فيستبين بما قدمنا أنه اذا حرص الكاتب اذ يتحامى الخطأ في تصريف حروف الجر ، فتبرأ كتابته من الطعن وتخلو من الخطل وتحفظ دون الا بتذال ، ، فلا يغنيه العودة الى المعجم ليحتوي نصّه فيقف منه على وجه الصواب في استعمال هذه الحروف مع الافعال ، ولو كان ذلك أسهل مأتى وأقرب مأخذا . اذ لا بد له من الاحاطة بمعاني هذه الحروف فيما فصّلته كتب النحو ومختلف المظان ، وموالاة قراءة نصوص الأدب نثراً وشعرا بغية الاطلاع ، بالاستقراء ، علـى مصارف الحروف في تحقيق ما يتسع له الفعل من دلالات ، وما يتجه اليه من قصود ، فيتعرف مواقعها ويتبين قواعدها ويتميز مسالكها ، فيكون من ذلك على رشد ، ويقبس منه باحتياط . ولا يصرفه اعتياد نهج أو إلف اسلوب عـن تدبره واستجلاء وجه صحته .

وليس للكاتب ، بعد هذا ، أن يجزم في ذلك حكما ، حتى يضع يده على دليل تسعفه رواية وتشهد له دراية . فقد رأيت أن ما صرفنا القول فيه قد رفدناه بالحجة وعززناه بالبينة ، ولا يقعد بالقارىء عن استشفاف ما تضمنه هذا الفصل أنه ليس سلس المطلب ، داني المنال في كل وجه . فالعلم سهل وعويص ، وذلول وجموح ، وهو لا يدرك الا بمواصلة البحث والموازنة والمكايلة ، وان طال نفس المهلة في تحصيله ، واستفراغ الوسع في السعي له ، والله الموفق للصواب .

□ □